ابلغ فى رقهم وعبوديتهم واتم فى اذعانهم وانقيادهم ولذلك وظف عليهم فيها اعمالا لا تانس
اليها النفوس ولا تهتدى الى معانيها العقول كرمى الجمار بالاحجار والتردد بين الصفا والمروة على
سبيل التكرار وبمثل هذه الاعمال يظهر كمال الرق والعبودية فان الزكوة ارفاق ووجهه مفهوم
وللعقل فيه ميل والصوم كسر للشهوة التى هى آلة الشيطان عدو الله وتفرغ للعبادة بالكف عن الشواغل
والركوع والسجود فى الصلوة تواضع لله سبحانه وتعالى بافعال هى هيئة التواضع وللنفوس انس
بتعظيم الله سبحانه وتعالى واما ترددات السعى ورمى الجمار وامثال هذه الاعمال لا حظ للنفس ولا انس
للطبع فيها ولا اهتداء للعقل الى معانيها فلا يكون فى الاقدام عليها باعث الا الامر المجرد وقصد الامتثال
للامر من حيث انه امر واجب الاتباع فقط وفيه عزل للعقل عن تصرفه وصرف النفس والطبع عن محل
انسه فان كل ما ادرك العقل معناه مال الطبع اليه ميلا فيكون ذلك الميل معينا للامر وباعثا معه
على الفعل فلا يكاد يظهر به كمال الرق والانقياد ولذلك قال صلى الله عليه وسلم فى الحج على الخصوص لبيك
بحجة حقا تعبدا ورقا ولم يقل ذلك فى صلاة وغيرها واذا اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى ربط نجاة
الخلق بان تكون اعمالهم على خلاف هوى طباعهم وان يكون زمامها بيد الشرع فيترددون فى اعمالهم بيان
على سنن الانقياد وعلى مقتضى الاستعباد كان ما لا يهتدى الى معانيه ابلغ انواع التعبدات فى
تزكية النفوس وصرفها عن مقتضى الطباع والاخلاق الى مقتضى الاسترقاق واذا تفطنت لهذا
فهمت ان تعجب النفوس من هذه الافعال العجيبة مصدره الذهول عن اسرار التعبدات وهذا القدر كاف
فى تفهيم اصل الحج **واما الشوق** فانما ينبعث بعد الفهم والتحقيق فان هذا البيت بيت الله وانه
وضع على مثال حضرة الملوك فقاصده قاصد الى الله تعالى وزائر له وان من قصد البيت فى الدنيا فهو
جدير بان لا تضيع زيارته فيرزق مقصود الزيارة فى ميعاده المضروب له وهو النظر الى وجه الله الكريم
فى دار القرار من حيث ان العين القاصرة الفانية فى دار الدنيا لا تتهيأ لقبول نور النظر الى وجه الله تعالى
ولا تطيق احتماله ولا تستعد للاكتحال به لقصورها وانها ان مدت فى الدار الآخرة بالبقاء ونزهت
عن اسباب التغير والفناء استعدت للنظر والابصار ولكنها بقصد البيت والنظر اليه تستحق لقاء
رب البيت بحكم الوعد الكريم فالشوق الى لقاء الله يشوقه الى اسباب اللقاء لا محالة هذا مع ان
المحب يشتاق الى كل ما له الى محبوبه اضافة وهذا البيت مضاف الى الله تعالى فبالحرى ان يشتاق اليه
لمجرد هذه الاضافة فضلا عن الطلب لنيل ما وعد عليه من الثواب الجزيل **واما العزم** فليعلم
انه بعزمه قاصد الى مفارقة الاهل والوطن ومهاجرة الشهوات واللذات متوجها الى زيارة
بيت الله فليعظم فى نفسه قدر البيت وقدر رب البيت وليعلم انه عزم على امر رفيع شانه خطير
امره وان من طلب عظيما خاطر بعظيم وليجعل عزمه خالصا لوجه الله بعيدا عن شوائب الرياء والسمعة
وليتحقق انه لا يقبل من قصده وعمله الا الخالص وان من افحش الفواحش ان يقصد بيت الملك وحرمه
والمقصود غيره فليصحح مع نفسه العزم وتصحيحه بالاخلاص واخلاصه باجتناب كل ما فيه رياء
وسمعة وليحذر ان يستبدل الذى هو ادنى بالذى هو خير **واما قطع العلائق** فمعناه رد المظالم

والتوبة الخالصة

والتوبة الخالصة لله عن جملة المعاصى فكل مظلمة علاقة وكل علاقة مثل غريم حاضر متعلق بتلابيبه ينادى عليه
ويقول له الى اين تتوجه اتقصد بيت ملك الملوك وانت مضيع امره فى منزلك هذا ومستهين به
ومهمل له اولا تستحى من ان تقدم عليه قدوم العبد العاصى فيردك ولا يقبلك فان كنت راغبا فى قبول
زيارتك فنفذ اوامره ورد المظالم وتب اليه اولا من جميع المعاصى واقطع علاقة قلبك عن الالتفات
الى ما وراك لتكون متوجها اليه بوجه قلبك كما انك متوجه الى بيته بوجه ظاهرك فان لم تفعل ذلك
لم يكن لك من سفرك اولا الا النصب والشقاء وآخرا الا الطرد والرد وليقطع العلائق عن وطنه
قطع من انقطع عنه وقدر ان لا يعود اليه وليكتب وصيته لاهله واولاده فان المسافر وماله لعلى قلت
الا ما وقى الله وليتذكر عند قطع العلائق لسفر الحج قطع العلائق لسفر الآخرة فان ذلك بين
يديه على القرب وما تقدمه من هذا السفر طمع فى تيسير ذلك السفر فهو المستقر واليه المصير فلا
ينبغى ان يغفل عن ذلك السفر عند الاستعداد لهذا السفر **واما الزاد** فليطلبه من موضع حلال واذا
احس من نفسه بالحرص على استكثاره وطلب ما يبقى منه على طول السفر ولا يتغير ولا يفسد قبل بلوغ
المقصد فليتذكر ان سفر الآخرة اطول من هذا السفر وان زاده التقوى وان ما عداه مما يظن انه زاده يتخلف
عنه بالموت ويخونه فلا يبقى معه كالطعام الرطب الذى يفسد فى اول منازل السفر فيبقى وقت الحاجة
متحيرا محتاجا لا حيلة له فليحذر ان تكون اعماله التى هى زاده الى الآخرة لا تصحبه بعد الموت بل تفسدها
شوائب الرياء وكدورات التقصير **واما الراحلة** فاذا احضرها فليشكر الله سبحانه بقلبه على تسخير الله
تعالى له الدواب لتحمل وتخفف عنه المشقة وليتذكر عنده المركب الذى يركبه الى دار الآخرة وهى الجنازة النعش
التى يحمل عليها فان امر الحج من وجه يوازى امر السفر الى الآخرة ولينظر ايصلح سفره على هذا المركب لان يكون
زادا له لذلك السفر على ذلك المركب فما اقرب ذلك منه وما يدريه لعل الموت قريب ويكون ركوبه للجنازة
قبل ركوبه للجمل فركوب الجنازة مقطوع به وتيسر اسباب السفر مشكوك فيه فكيف يحتاط فى اسباب السفر المشكوك
فيه ويستظهر فى زاده وراحلته ويهمل امر السفر المستيقن **واما شراء ثوب الاحرام** فليتذكر عنده
الكفن ولفه فيه وانه سيرتدى ويتزر بثوب الاحرام عند القرب من بيت الله عز وجل وربما لا يتم سفره
اليه وانه سيلقى الله تعالى ملفوفا فى ثياب الكفن لا محالة فكما لا يلقى بيت الله تعالى الا مخالفا عادته فى
الزى والهيئة فلا يلقى الله بعد الموت الا فى زى مخالف لزى الدنيا وهذا الثوب قريب من ذلك الثوب
اذ ليس فيه مخيط كما فى الكفن **واما الخروج** من البلد فليعلم عنده انه فارق الاهل والوطن
متوجها الى الله فى سفر لا يضاهى اسفار الدنيا فليحضر فى قلبه انه ماذا يريد واين يتوجه وزيارة من
يقصد وانه متوجه الى ملك الملوك فى جملة الزائرين له الذين نودوا فاجابوا وشوقوا فاشتاقوا واستنهضوا
فقطعوا العلائق وفارقوا الخلائق واقبلوا على بيت الله الذى فخم امره وعظم شانه ورفع قدره
تسليا بلقاء البيت عن لقاء رب البيت الى ان يرزقوا منتهى مناهم ويسعدوا بالنظر الى مولاهم و
ليحضر فى قلبه رجاء الوصول والقبول لا ادلالا باعماله فى الارتحال ومفارقته للاهل والمال
ولكن ثقة بفضل الله ورجاء لتحقيقه وعده لمن زار بيته وليرج انه ان لم يصل اليه وادركته

Copyright © King Saud University